﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٤﴾ [البقرة: 63-64]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهما:

بعد أنْ أطمعَ اللّٰهُ تعالى بالآية السابقة بني إسرائيلَ في رحمته بعدما قرّعهم بالنُّذُر التي تكاد تُوقع اليأسَ في قلوبهم، عقَّب ذلك الإطماعَ بالتَّذكير ببعض الوقائع التي استحقُّوا فيها العقوبةَ، فحالت دون وقوعها الرّحمةُ، فقال: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ وهو العهدُ الذي أخذه عليهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿مِيثَٰقَكُمۡ﴾: الميثاقُ والمُواثَقَةُ: المعاهدةُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [المائدة: 7]، وأوْثَقَهُ في الوَثاقِ، أي شدَّهُ، وقال تعالى: ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ [محمد: 4]، والوِثاقُ بكسر الواو لغةٌ فيه، والوثيق: الشَّيء المُحكم، والجمع وَثاق، وقد وُثُقَ بالضمِّ وَثاقَةً، أي صار وَثيقًا، ويقال: أخذ بالوَثيقَةِ في أمره، أي بالثِقَةِ، وتَوَثَّقَ في أمره مثله، ووَثَّقْتُ الشَّيءَ توثيقًا فهو مُوَثَّق، وناقةٌ مُوَثَّقَةُ الخَلْقِ، أي مُحْكَمَتُه، ووَثَّقْتُ فلانًا، إذا قلتُ إنَّه ثِقَةٌ واسْتَوْثَقْتُ منه، أي أخذت منه الوثيقة[2].

والميثَاقُ: العَهْدُ، مِفعالٌ مِنَ الوِثَاقُ، وهو في الأَصْلِ حَبْلٌ أَوْ قَيْدٌ يُشَدُّ بِهِ الأَسِيرُ والدَّابَّة[3].

والمِيثاق: عقد مؤكَّد بيمين أو عهد، يقال: أوثقتُ كذا ووثقته ووثق به ثقة، ثم قيل: رجلٌ ثِقَةٌ، وقومٌ ثِقةٌ، فاستعير لفظُها للموثوق به، والميثاقُ الذي أُخذ منهم ما ذكره اللّٰه تعالى في قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: 83]، وفي قوله:

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/281.
(2) الجوهري، الصِّحاح: (وثق).
(3) ابن الأثير، النهاية: (وثق).

﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾ [المائدة: 12]، وفي قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ﴾[1] [آل عمران: 81].

2) ﴿ٱلطُّورَ﴾: قال ابن عباس: الطُّور كلُّ جبل يُنبتُ، وكلُّ جبل لا يُنبتُ فليس بطور، قال القاضي ابنُ عَطِيَّة رحمه الله: وهذا كلّه على أنَّ اللّفظة عربيةٌ، وقال أبو العالية ومجاهد: هي سُريانيّةٌ اسمٌ لكلّ جبل[2]،، والطُّور بالسُّريانية طُوْرا، أعربته العربُ فقالت: طور، وأجروا عليه الإعراب، وأدخلوا عليه الألف واللام فصار من كلامهم[3]، وقال بعضُهم: إنَّ الطّور اسمٌ جنس للجبال في لغة الكنعانيّين، نُقل إلى العربية[4].

والطُّور: قيل: هو اسمٌ لجبل مخصوص، وقيل: هو اسمٌ لكلّ جبل يُنبتُ شيئًا[5].

والطُّور في الآية: هو الجبلُ المعروف الذي ناجى عليه الله موسى عليه السلام، وهو الذي رفعَه فوق بني إسرائيل؛ كما جاء في سورة الأعراف، فقال: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾[6] [الأعراف: 171].

3) ﴿بِقُوَّةٖ﴾: القُوَّةُ تستعمل تارة بمعنى القدرة، وتارة للتهيُّؤ الموجود في الشَّيء، نحو أن يقال: النَّوى بالقوَّة "نخلة"، أي متهيّأ ومترشّحًا أن يكون منه ذلك، وتستعمل القوَّة في البدن تارة، وهو الأظهر، وتارة في النفس، ولـمَّا كانت القوَّة للشدَّة الموجودة في الشَّيء سُمِّيت المفازة قوى - تصوُّرا منها ذلك، ثم قيل: أقوى فلان، إذا صار في قوى، أي قفر، وتصور من حال الفقر، فاستعير الأقوى للافتقار استعارة قولهم أَتْرب وأَرْمل، لذلك، فقوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ أي: تعاطَوْا ما فيه بعلم ودراية، فالعلم هو الذي يُقَوِّي الإنسان، ويُبَلِّغُه المقصود في أمور الدين، وقال الضحّاك: ﴿بِقُوَّةٖ﴾: أي بطاعة الله، وذلك لما روى " أقوى الناس من أطاع الله

(1) الرّاغب، تفسير الرّاغب الأصفهاني: 1/216.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/158.
(3) سَلَمة الضِّحاري، الإبانة في اللغة العربية، ص: 104.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/542.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/542.
(6) المراغي، تفسير المراغي: 1/135.

واتَّقاه "، وقيل: بقوَّة، أي بعمل ما فيه، وذلك صحيح بنظر؛ فإنَّ تعاطي كلَّ جزء منَ العمل الصالح يقوِّي الإنسانَ على ما فوقه.

4) ﴿وَٱذۡكُرُواْ﴾: الذِّكرُ ذِكْران، ذِكْرٌ باللِّسان، وذِكْرٌ بالقلب، وأنه يُتَجَوَّز به في الحفظ والمُراعاة، فيقال: اذكر كذا، كما يقال في التَّرك: النِّسيان[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ذكر سبحانه في هاتين الآيتين بيانًا لطبيعة اليهود الغادرةِ، وفضحًا لهم كيف أنَّهم يرفضون رسالةَ رسولهم، مع ما أنعم الله به عليهم، نِعمًا ما أعظمَها، وما أَوْلاها بالتَّلقِّي بالشُّكر والولاء للمُنعم، ولكنْ أنَّى للعُمْي أن يُبصروا، وللصُّمِّ أن يسمعوا؟

وهذه جنايةٌ أخرى حدثتْ من أسلافكم -أيها المخاطَبون وقتَ التَّنزيل - ذاك أنّه بعد أن أخذ الله عليهم المواثيقَ المؤكَّدة منكم بالإيمان بالله وإفراده بالعبادة، فقبلوها، وأَراهم منَ الآيات ما فيه مَقنعٌ لهم؛ فرفعَ الجبلَ فوقهم كالظُّلّة، حتى ظنُّوا أنه واقعٌ بهم، وطلب إليهم التّمسُّكَ بالتوراةِ، والعملَ بما فيها بالجِدِّ والنَّشاط كي يُعِدُّوا أنفسَهم لتقوى الله ورضوانه، ثمَّ كان منهم أنْ أعرضُوا عن ذلك، وانصرفوا عن طاعته، ولولا لُطفُ الله بهم لاستحقُّوا العقابَ في الدّنيا، وخسروا سعادةَ الآخرة، وهي خيرٌ ثوابًا، وخيرٌ أملًا، لكنْ وفَّقهم الله تعالى بعد ذلك فتابوا، ورحِمَهم، فقبل توبتَهم.

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سببُ الوصل بين الجملِ:

اشـتراكُ الآيـاتِ في تَعداد قبائحِ بنـي إسـرائيـل، وذكـرِ أنـواعِـهـا المختلفة

عُطفت جملةُ ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ على ما قبلها، وهي الآيةُ المُصَدَّرة بـ (إذ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: 61]؛ لاشتراكهما في تَعداد جرائمِهم، فعاد القولُ إلى بني إسرائيل بعد أن ذكر اليهودَ والنَّصارى والصَّابئين؛ لبيان أنه لا يصحُّ أن ييأسوا من رحمة الله تعالى بعد ما كان منهم في ماضِيهم، وما يكون منهم في حاضرهم إن آمنوا

(1) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/216.

باللّه حقَّ إيمانه، وبالآخرة إيمانَ إذعان ورجاء إن أطاعوا، وخوفَ العقاب إن عصَوْا.

بلاغةُ التّكرار في (إذ) الظّرفية:

تفصيلُ النِّعمِ بعد إجمالِ ذِكرِها دليلَ غفلةِ المخاطَبِ

تعدّد ذكرُ نعمِ اللّه على بني إسرائيل؛ لتذكيرِهم بها وبأحوالِهم معها؛ لمناسبة تَعداد النِّعم التي أنعم اللّه بها عليهم تفصيلًا، بعد ما ذَكر اللّه ﷻ نِعمَه على بني إسرائيل إجمالًا؛ ليكونَ أبلغَ في ذكرها وأَدْعى لشُكرها، فكأنَّه قال: اذكروا نِعمتي، واذكروا إذْ نجيناكم، واذكروا إذ فرقنا بكم البحرَ، واذكروا إذ واعدنا موسى، وإذ آتينا موسى الكتابَ، إلى آخر ما عدَّده منَ النِّعم عليهم، وكلُّ هذه النِّعم تستدعي شكرَ المُنْعِم جلَّ وعلا، لا كفرانَه وعصيانَه[1].

بلاغةُ حذفِ العامل في الظّرف (إذ):

اقترانُ كثرةِ الجرائمِ مع النِّسيانِ، دليلُ بلادةِ الشُّعورِ

المشهورُ أنّ العاملَ في الظَّرف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ فعلٌ مُقَدَّرٌ، أي: اذكروا إذْ، وهو مشتقٌّ منَ الذُّكر بضمّ الذّال، وهو التّذكُّر بالعقل والنَّظر، وليس ذكرَ اللّسان، وقد حُذِفَ العاملُ للتَّنبيه على تَعداد جرائمِهم، وكثرةِ نسيانهم، فهو يأمرُهم بتذكّر ذلك، ويُشيرُ النَّظم إلى أنَّ أنهم لن يذكروا إلَّا قليلًا؛ فاللّه لا يخفى عن علمه شيءٌ، فهو بكلّ شيءٍ عليم.

وحذفُ العامل في نحو هذا كثيرٌ في القرآن، وذكرُ العاملِ في (إذ) جائزٌ في اللّغة، وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74].

(1) الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان: 1/349.

وقولِه: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: 86].

وقولِه: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنفال: 26].

ونلْحَظُ أنَّ ذكرَ العامل في الظَّرف يأتي في سياق دعوةِ الأنبياء أقوامَهم أن يتذكّروا آلاءَ الله عليهم، ومخاطبةِ الله المؤمنين، وحَذْفَ العاملِ في سياق الحديث عن بني إسرائيل، وسوابقِهم مع أنبيائهم، وجحودِهم الحقَّ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بمادة (أخذ) المُضافةِ إلى ضميرِ العظَمة (نا):

تدلُّ مادَّة (أخذ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ على تحصيل الشّيء في الحَوزة بقوَّة، وعلى المأخوذ منه الميثاقُ تنفيذُ أوامر الآخذ من دون تعقيبٍ أو اتِّباعِ هوى، وفيه إشارةٌ إلى مِنَّة الله تعالى ونِعمتِه على بني إسرائيل[1]، فبلاغةُ المفردةِ يظهرُ في أنَّ الأخذَ كان بهذه القوَّةِ ومع ذلك فقد صدَرَ عنهم ما صَدَر!

قـــوَّةُ الأخـــذِ تقتضي الحفاظَ على المواثيقِ إلَّا عند المخاريقِ

وقد ورد هذا التَّركيبُ ﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾[2] و﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[3] في حقِّ بني إسرائيل خاصةً؛ لزيادة تعظيم الميثاق المأخوذِ عليهم، وأنّ الذي تولَّى ذلك هو الله ﷻ، ولمناسبة ما سبق من نحو قولِه: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم﴾ [البقرة: 49]، ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: 50]، ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ [البقرة: 56]، ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ﴾ [البقرة: 59].

سرُّ إفراد الميثاق دونَ جمْعه:

جاء التعبير في قوله تعالى: ﴿مِيثَٰقَكُمۡ﴾ بالإفراد لوجهين: قال القفَّال: إنما قال ﴿مِيثَٰقَكُمۡ﴾ ولم يقُل: (مواثيقكم) لأنه أراد ميثاقَ كلّ واحدٍ منكم كقوله: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر: 67]، أي يخرج كلُّ واحدٍ منكم طفلًا[4].

(1) نصر سعيد، بلاغة الكلمة، ص: 237.
(2) كما في سورة البقرة: 63، 84، 93.
(3) كما في سورة البقرة: 83، وسورة المائدة: 70.
(4) محمد علي جميل، صفوة التفاسير: 1/57.

والثّاني: أنَّه كان شيئًا واحدًا أُخِذَ من كلِّ واحدٍ منهم، كما أُخذ على غيره، فلا جَرَم كان كلُّه ميثاقًا واحدًا، ولو قيل: (مواثيقكم) لأشبه أن يكون هناك مواثيقُ أُخِذَتْ عليهم لا ميثاقٌ واحد[1].

دلالة إضافةِ الميثاق إلى ضميرِ المخاطَبين:

لأنَّه تعالى إنما أخذ ميثاقَهم لمصلحتِهم، فصار ذلك من إنعامِه عليهم[2]، وفيه زيادةُ تنبيهٍ إلى أنّ المخاطَبين به مُطالَبون بهذا الميثاق كأسلافِهم؛ و"لتحميلِ الخلَف تبعاتِ السَّلف؛ كيلا يقعُوا في مثلِها، ولِيستغفِروا لأسلافهم عنها"[3].

سرُّ ذكرِ ﴿ٱلطُّور﴾ هنا و﴿ٱلْجَبَلَ﴾ في الأعراف:

يُلحَظُ أنَّ النَّتْقَ بمعنى الفصْل والقَلْع مقدَّمٌ في الفعل على الرَّفع، فناسبَ ذكرَ النَّتْق في سورة الأعراف المكيةِ، وذكرُ ﴿ٱلْجَبَلَ﴾ مع القلع أنسبُ؛ لبيان عظمةِ الفاعل، وعِظَم الفِعْل، كما ناسبَ ذكرَ الرَّفع في سورتَي البقرة والنساء المَدَنِيَّتَيْنِ[4]، وإيقاعُ الرَّفع على اسم ﴿ٱلطُّور﴾؛ لمناسبة الرَّفع في الهواء، "وطابق لفظُه الطّورَ أي: الفَنَاءَ و"طار يطُور لسرعة المشي، كما أنَّ طار يطير للسِّباحة في الهَواء"[5]، ولدلالتِه على الامتداد بإزائهم فوقَهم، فلا يَستطيعون منه فِكاكًا، ولذلك سُمّي جبلُ سَيناء بالطُّور؛ لدوران ماء البحر حولَه؛ إذ هو زاويةُ شبهِ جزيرةِ سَيناء المُمتدّةِ في البحر الأحمر، وكأنّ معنى الاسم: المَدُورُ حولَه[6]، قال أبو جعفر: وأمّا الطّور؛ فإنه الجبلُ في كلام العرب، ومنه قول العجّاج[7]:

الجبلُ بِثِقَلِه يُناسبُ الحديثَ عن نَتْقِه، والطُّورُ يناسبُ الحديثَ عن رَفْعِه

دانَى جَنَاحَيْهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرّ *** تقضي البازي إذا البازي كسر

(1) الرازي، التّفسير الكبير: 3/538.
(2) الرازي، التّفسير الكبير: 3/537.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/542.
(4) في الآيتين (63، 93) من سورة البقرة، والآية (154) من سورة النساء.
(5) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/216.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (طور).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/157.

بلاغةُ الإيجازِ بالحَذْفِ في قولِه: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾:

اختلَف أهلُ العربيّة في تأويل قولِه تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾؛ فقال بعضُ نحْوِيِّي أهلِ البَصرة: هو ممّا استُغنيَ بدلالة الظَّاهر المذكور عما تُرك ذكرُه له، وذلك أنَّ معنى الكلام: ورفعنا فوقَكم الطّورَ، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم بقوّة، وإلا قَذفناه عليكم[1]؛ ففيه إيجازٌ بالحذف، أي قلنا لهم: خذوا، أي: على إرادة القول[2].

إيثارُ ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ بدلًا من (اذْكُرُوه):

يشير استعمالُ ﴿مَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ إلى عِظَم ما في هذا الميثاق، ومَزيدِ أهميّته، كما يدلُّ على الأمر بذكْره تفصيلًا، أمرًا أمرًا، ونهيًا نهيًا، في حين أنَّ الضميرَ الواقعَ معمولًا للذّكْر في (اذكروه) لا يُفهم منه ذانِك الأمران: الأهمية والتفصيل.

المطلوبُ ذكرُ ما في الميثاقِ التّفصيليّ لا ذكرُه العُنوانيّ

أي: واذْكُروا ما فيه منَ الأحكام أوامرِها ونواهِيها، أو اعمَلُوا به لئلَّا تَنْسوه - فإنّ ذلك يُعدّكم للتقوى ويجعلُها مرجوّةً لكم، فإنَّ الجدَّ وقوّةَ العزم في إقامة الدِّين يُهذِّبُ النَّفس ويُزكِّيها، والتّهاوُنَ والإغماضَ فيه يُدسِّيها ويُغويها ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: 9-10].

دلالة التّرجّي في قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾:

(لعلَّ) في المشهور موضوعةٌ للتّرجّي، وهو الطّمعُ في حصول أمرٍ محبوبٍ مُمكنِ الوقوع والإشفاق، وهو تَوقُّعُ مَخوفٍ مُمكنٍ، والظاهرُ التَّقابلُ، فتكونُ مشتركةً، وذكرَ الرّضيُّ أنها للتَّرجّي، وهو ارتقابُ شيءٍ لا وُثوقَ بحصوله، فيدخلُ فيه الطّمعُ والإشفاقُ، والذي يميل إليه القلبُ ما ذكره بعضُ المحقّقين إنّها لإنشاء توقُّع أمرٍ متردّدٍ بين الوُقوع وعدمِه مع رُجحان الأوّل، إما محبوبٌ فيُسمّى رجاءً، أو مكروهٌ فيُسمّى إشفاقًا[3].

والرَّجاءُ الذي يقتضيه حرفُ (لعلّ) مستعمَلٌ في معنى تقريبِ سببِ التَّقوى بحضِّهم على الأخذ بقُوّة، وتعهُّدِ التّذكّر لما فيه، فذلك التَّقريبُ والتّبيين شبيهٌ برجاء الرَّاجي.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 2/160.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 2/161.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 1/525.

ويجوز أن يكون (لعلّ) قرينةَ استعارةِ تمثيلِ شأنِ الله حين هيّأ لهم أسبابَ الهداية بحال الرَّاجي تقواهم، وعلى هذا محملُ موارد كلمةِ (لعلّ) في الكلام المُسنَدِ إلى الله تعالى[1].

توجيه المخصوصِ بالذّكرِ:

التَّقوى قُصارى أمرِ العابد، فيكونُ الكلامُ أبعثَ على العِبادةِ

خُصّتِ التَّقوى بالذِّكرِ في هذا السِّياقِ في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ لأنّه إذا حصل لهم ذلك نجَوْا في الدّنيا والآخرة، ولأنَّ التَّقوى قُصارَى أمرِ العابد، فيكونُ الكلامُ أبعثَ على العِبادة، أي: لِيُعدّ نفوسَكم لتقوى الله ﷻ: ذاك أنَّ المواظبةَ على العمل تطبعُ في النَّفس سجيّةَ المراقبة لله، وبها تصيرُ تقيّةً نقيّةً من أدْران الرَّذائل راضيةً مرضيّةً عند ربّها ﴿وَٱلْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: 132][2].

دلالة حرفِ العطف ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾:

أفادَ حرفُ العطفِ ثمَّ التَّرتيبَ والتَّراخي، وهو على بابه منَ التَّراخي الزَّمني، إشارةً إلى عبادتِهم العِجْلَ في مُدّة مناجاةِ موسى، وأنّ الله تاب عليهم بفضله، ولولا ذلك لكانوا منَ الخاسرين الهالكين في الدّنيا أو فيها وفي الآخرة[3].

دلالة البُعد في اسم الإشارة في قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾:

عِظَمُ الميثاق المأخوذِ عليهم

المُشارُ إليه بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾: أخذُ الميثاق عليهم، وقَبولُ ما أُوتوه منَ الكتاب، وإن كان ثَمَّةَ بُعدٌ زمانيٌّ، ولكنَّه يَحْمِلُ بعدًا آخر، يتعلّقُ بمنزلة الميثاق المأخوذِ عليهم.

أثرُ التَّفسير في الحقيقةِ والمجازِ والوقفِ والابتداء:

الفضلُ: التَّوفيقُ للتوبة، والرَّحمةُ قَبُولُها، أو الفضلُ والرَّحمةُ: بِعثةُ رسولِ الله ﷺ وإدراكُهم لمُدّته، فالخطاب على الأوّل جارٍ على

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/542.
(2) المراغي، تفسير المراغي: 1/135.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/523.

سُنن الخِطابات السَّابقةِ مَجازًا باعتبار الإسلاف، وعلى الثاني جارٍ على الحقيقة[1].

نـجـاتُـهـم وإمهالُهم فضلٌ مـنَ الله وحـده ورحمةٌ منه بهم

وذكر القفَّال في تفسيره وجهين؛ الأول: لولا ما تفضَّل الله به عليكم منْ إمهالكم وتأخيرِ العذاب عنكم لكُنْتم منَ الخاسرين، أي: منَ الهالكين الذين باعوا أنفُسَهم نارَ جهنّمَ، فدلّ هذا القولُ على أنَّهم إنّما خرجُوا عن هذا الخُسْران؛ لأنَّ الله تعالى تفضَّل عليهم بالإمهال حتى تابوا. الثاني: أن يكون الخبرُ قد انتهى عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، ثم قيل: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ رجوعًا بالكلام إلى أوّله، أي: لولا لطفُ الله بكم برفعِ الجَبل فوقَكم لدُمتم لردِّكم الكتابَ، ولكنَّه تفضّل عليكم ورحمَكم، فلَطَف بكم بذلك حتى تُبْتم[2].

سِرُّ العُدول عنِ الفعل (لخسرتم) إلى جملة: ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

الـمُـبـالـغـةُ في خُسران ذواتِهم

دخولُ (كان) في جواب (لولا) يُفيدُ المبالغةَ في الخَبر، أي: المبالغةُ في الخُسران، كما أنّ وقوعَ الكَون بعد لام الجواب ﴿لَكُنتُم﴾ يدلُّ على أنّ الخُسران لو وقعَ لكان على ذواتِهم، فأهلَكَهم، في حين أنّ قولنا: (لخسرتم) لا يُثبتُ سوى نوعِ خُسران، ولو كان يَسيرًا، مع بقائهم أحياءً، فلمَّا أدخلَهم في زمرة الخاسرين، أثبت عليهم استحقاقَهم الخسارة الجديرة بهم، والتي لا تكون إلَّا لمن غرِق في بحر المعاصي والظلمات.

توجيه المُتشابه اللَّفظيّ:

العنايةُ بخطابِ أسـلافِ بـنـي إسرائيل دليلُ حـرصِ الـقـرآنِ على العالمين

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: 63]، وقال في الآية اللَّاحقة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 1/282.
(2) الرازي، التّفسير الكبير: 3/539.

ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: 93].

فالخطابُ فى الآيتين لبني إسرائيلَ، ووجهُ تخصيص كلٍّ منَ الآيتين بما أُعْقِبتْ به، أنَّ الآية الأولى تقدّم قبْلها قولُه تعالى: ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة: 53]، والكتابُ: التَّوراةُ وقد سمعوه وعنه قيل، وإليه أُشيرَ بقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾، وقد زاد هذا إيضاحًا قولُه فى سورة الأعراف: ﴿۞وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: 171]، والاشارةُ بالقوّة إلى عظيم تَخويفِهم برفع الجَبل فوقَهم كالظُّلّة، فقولُه تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ عقبَ ذكْرِ كتابهم أوضحُ شيء وأنسبُه، ولمَّا تقدّم قبل الآية الثانية قولُه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ [البقرة: 89]، وهذا الكتابُ هو الكتابُ العزيز، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ بدليل قولهم - حيْدةً عن إيمانهم -: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾، قال تعالى: ﴿وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾، أى: يكفُرون بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، والإشارة للقرآن: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡ﴾، أى: منَ التوراة، فلمّا تقدَّم هنا ذكْرُ القرآن وخلَف يهودُ المعاصرون لرسول اللّه ﷺ مُعرِضون إلا القليل عنِ الإيمان وسماعِ القرآن فناسبَ إعراضُهم عن سماعه تخصيصَه هذا المَوضعَ منَ المقول لسلفهم بقوله للخلف: "واسمعوا" ليكون إخبارًا عن سَلَفهم، وتعريضًا لخلَفهم، فوضح التّناسبُ وأنَّ العكسَ لا يُناسبُ[1].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الميثاق والعَهْد:

أنَّ الميثاقَ توكيدُ العَهْد من قولك: أوثقتُ الشيءَ إذا أحكمتَ شدَّه، وقال بعضُهم: العهدُ يكون حالًا منَ المُتعاهِدَيْن، والميثاقُ يكون من أحدِهما[2].

(1) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل: 1/45.
(2) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 525.

الرَّفع والنَّتْق:

الرَّفعُ: المرحلةُ التَّاليةُ للنَّتق، يقال تارةً في الأجسام الموضوعةِ إذا أَعْلَيتَها عن مقرِّها، وتارةً في البناء إذا طوَّلْته، وتارةً في الذِّكْر إذا نوَّهْته، وتارةً في المَنزلة إذا شرّفْتها[1].

النَّتْق: الجذب، ونتقتُ الغَرْبَ منَ البئر، إذا اجتذبته بمرة جذبًا، ونتقتِ الملائكةُ جبلَ الطُّور، أي: اقْتَلعُوه من أصْله حتى أَطْلَعوه على عسكر بني إسرائيلَ[2].

كما يدلُّ على الزَّعْزعةِ والهَزِّ[3]، وهو أن يقلعَ الشَّيء فيرفَعه من مكانه ليرميَ به، هذا هو الأصل[4].

(1) المُناوي، التوقيف على مهمات التعاريف: (الرفع)، ص: 149.
(2) الخليل، العين: (نتق).
(3) ابن سِيده، المحكم: (نتق).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (نتق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»